بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إن العبد له قيمة وفضلٌ عند ربِّه جلَّ وعلا، ما لم ينحرف عن كتابه جلَّ وعلا، وما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام المتعلِّقة بتهذيب الظاهر والباطن، وما لم ينحرف عن نائبه رسولِ الله عليه الصلاة والسلام. وفضلُ الإنسان عند الله تعالى جلَّ وعلا مقبول بالكتاب والسنة، وأداءُ العبد لوظيفته في هذه النشأة، يعني درجةُ هؤلاء المؤمنين عند الله جلَّ وعلا أفضل وأعلى بالنسبة إلى المخلوقين، بعد الرسل الكرام على رسولنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وكذا فوق بعض الملائكة الكرام عليهم السلام، كما قال ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

المؤمنون الصادقون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح هم خير الخليقة على الإطلاق، هذا هو وصف الإنسان، فلا بدَّ للإنسان أن لا ينحرف، وقد أعطاه ربُّه جلَّ وعلا هذه الكرامة العظيمة، وخلقه على هذه المرتبة العالية، فإنه جلَّ وعلا يراقب عباده، وبعظمته جلَّ وعلا وبإنعامه بهذه النعم على مخلوقاته، يحصل منه الرضى عن عباده، مع عدم احتياجه جلَّ جلاله إليهم.

نرجو الله تعالى جلَّ جلاله أن لا ننحرف عن الصراط المستقيم الذي لا عِوَج فيه أصلاً، وأن يجعلنا ويحشرنا مع المرضيين من عباده الفضلاء ولو كنَّا ناقصين، إن رحمةَ الله جلَّ وعلا إذا قُسِمت على عباده ينزل منها على المحتاجين أكثر، لا بد لنا أن لا نغرَّ بهذه الحياة الدنيويةِ، ليس لها دوام وأمان، الدنيا دار من لا دار له، وأملُنا بربِّنا جلَّ وعلا أن يجعلنا بفضله وكرمه من الذين يضعون الموت نصب عيونهم. ربُّنا جلَّ وعلا عالم باحتياجنا وبأعدائنا من الشيطانِ والنفوسِ الأمارةِ والحرصِ على الرزق الذي لا يليق أن يتعلَّق العبد بقلبه به، وأن لا ينظر إلى نقصنا وعجزنا، وأن لا يُبعدنا من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولو لم نكن أهلاً لذلك؛ الذي خلقنا من كتم العدَم إلى الوجود، ورزقنا الإيمان، هو أهلٌ لذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الله سبحانه وتعالى على سبيل الإنعام والامتنان:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ وفضَّلنا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بأنواع الكرامة والتفضيل على سائر المخلوقات، من حسن الصورة والسيرة، واعتدال المزاج، واستواء القامة، [الحيوان يأكل رزقه بفمه، يأخذ طعامه بفمه، هذه نعمة]، والعقلِ المُفاض المتشعِّب من العقل الكلِّ الذي هو حضرة العلم الحضوري الإلهي، وكذا بالقدرة والإرادة وسائر الصفات المترتِّبة على الصفات الذاتية الإلٰهية يُشعر بخلافته ونيابته، مع ذلك ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ بركوب النجائب من الخيل والبغال والبعير وغير ذلك [وفي هذا الزمان بركوب السيارات والدراجات] ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ بركوب الجواري والسُّفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي الأطايب التي يكسبونها بأيديهم على مقتضى إقدارنا إياهم، وإعدادنا أسباب مكاسبهم معهم [وهذا يدلُّ على أن كسبَ الإنسان وكدَّه لرزقه جيدٌ]، وأبَحْنا لهم ما تستلذُّ به نفوسهم وتشتهي قلوبهم على وفق ما نطق به رُسلهم وكتبهم. وبالجملة ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ والقليل المستثنى هم الملائكة المقرَّبون المهيَّمون المستغرقون بمطالعة جمال الله وجلاله [جلَّ وعلا، هذا جواب عن سؤال مقدَّر]، وإن كان الوالهون الهائمون من الإنسان في ولاء الله ومحبَّته [عطف وتفسير لولاء]، المكاشفون بسرِّ الخلافة والنيابة التي أخبر بها الحقُّ جلَّ وعلا، الواصلون إلى مرتبة الفناء بالموت الإرادي، أفضلَ منهم أيضاً، وأرفعَ رتبةً ومكانةً من الملائكة. وإنما كرَّمناهم وفضَّلناهم بما فضَّلناهم لحكمةٍ ومصلحة تقتضيها ذاتُنا، وهي أنا نريد أن نطالع ذاتنا المتَّصفة لجميع أوصاف الكمال ونعوت الجمال والجلال في مظهر تام كامل لمراتبنا وخلافتنا ـ جلَّ وعلا ـ، وكرَّمناه لأجل هذه الحكمة العزيزة، فمن لم يبلغ منهم إلى هذه المرتبة العليَّة والدرجة السنيَّة بسلوكه الذي أرشدناه وعلَّمناه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فهو نازلٌ كلَّ التنازل عن درجة الاعتبار، ساقطٌ عن

رتبة ذوي الألباب والأبصار. بل أولئك البُعَداء الضَّالون عن منهج الرشاد كالأنعام بلا شعور إلى ما جُبِلوا لأجله، بل أضلُّ سبيلاً منها وأسوأ حالاً ومآلاً، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

اذكر يا أكمل الرسل صلى الله عليه وسلم للمكرَّمين المفضَّلين على سائر المخلوقات: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾ نحشر ﴿كُلَّ أُنَاسٍ﴾ منهم لنسألهم ونطلب عنهم ما اكتسبوا وحصَّلوا من المعارف والحقائق والأعمال المقرِّبة إلينا باقتدائهم ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الذي نرسل إليهم وننزِّل عليهم، من الرسل والكتب لإرشادهم وإهدائهم، مع أنا كتبنا منهم خيرهم وشرَّهم اللذَّين جاء كلٌّ منهم بهما في صحيفةٍ، ونعطيهم اليوم صحائفَ أعمالهم ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ منهم ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ فهو دليلُ خيريَّةِ أعماله وطيبِ أحواله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المقبولون ﴿يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ فرحين بما فيها مسرورين، فيجازون على مقتضى ما كُتب، بل أضعافها وآلافها، عنايةً منا وفضلاً ﴿وَ﴾ هم ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ ولا ينقصون من أجور أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ مقدار ما في ظهر النَّواة من الخط الأسود، أو بين الأصابع من الوسخ المفتول. انتهى.

وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

ـ هذا ما أملاه عليَّ العارف بالله المربي، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به. آمين.

يوم الجمعة: ١٢ / صفر / ١٤٣٣ هـ

الموافق: ٦ / كانون الثاني / ٢٠١٢م

** ** **